Qirā'atunā (Our Reading)

Our Reading (A Hermeneutical Inquiry into Religious Texts Between Heritage and Modernity), Vol. 1, Issue1, Series 1, 2026.

A Rereading of Quranic Understanding in Light of Gadamerian Hermeneutics: A Case Study of the Thirtieth Part (*Juz' 'Amma*) Based on *Al-Mizan* and *Al-Tahrir wa al-Tanwir* Commentaries

Seyyed Ali Mirhosseini[1]✉, **Alireza Karimi**[2]

1. Corresponding author, Lecturer, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Quran and Hadith,International University of Islamic Denominations, Tehran, Iran. E-mail: seyyedalimh@gmail.com
2. M.A. in Islamic Philosophy and Theology, Faculty of Literature and Humanities, Kharazmi University, Tehran, Iran.

Article Info

Article type: Research Paper

Article history:
Received: 8 October 2025
Received in revised form: 28 October 2025
Accepted:18 May 2026
Available online: 22 July 2026

Keywords:
Holy Quran,
Philosophical Hermeneutics,
Hans-Georg Gadamer,
Pre-understanding,
Fusion of Horizons,
Al-Mizan,
Al-Tahrir wa al-Tanwir

ABSTRACT

Objective: This research aims to reread the process of understanding the Holy Quran through Hans-Georg Gadamer's philosophical hermeneutics, establishing a theoretical framework to examine the dialectical interaction between text, interpreter, and meaning. It seeks to evaluate how key Gadamerian concepts—such as pre-understanding, effective-historical consciousness, and the fusion of horizons—can function as analytical tools to illuminate the dynamics and inherent plurality of Quranic exegesis. Furthermore, the study aims to apply these theoretical constructs to a comparative analysis of selected Quranic models from Juz' 'Amma within the commentaries of Tabataba'i and Ibn Ashur. Ultimately, it endeavors to propose a dynamic interpretive framework that bridges traditional Islamic exegetical rigor with contemporary hermeneutic insights, addressing modern epistemic and existential questions while safeguarding textual sanctity.

Method(s): Employing a comparative-analytical methodology within a philosophical hermeneutic framework, this study conducts an applied textual analysis of selected passages from Juz' 'Amma. The investigation systematically compares the exegetical approaches of Allama Tabataba'i's Al-Mizan and Ibn Ashur's Al-Tahrir wa al-Tanwir. Through this dual case study, it examines how differing pre-understandings and socio-historical horizons shape distinct yet complementary interpretive paths.

Result(s): The analysis demonstrates that "pre-understanding" critically shapes both exegetical trajectories: Tabataba'i reconstructs text-internal structural unity, whereas Ibn Ashur conceives the text as a socio-historical and linguistic event. Rather than representing conflicting aims, this methodological divergence illustrates a constructive interpretive plurality driven by distinct epistemic horizons. Consequently, Quranic exegesis operates as a dynamic, continuous dialogical process rooted in the fusion of horizons between the text and its interpreter.

Conclusions: Philosophical hermeneutics enriches traditional exegetical heritage rather than undermining its authenticity, demonstrating that historical distance fosters continuous interpretive renewal. By bridging classical Islamic methodology with modern hermeneutic flexibility, this study establishes a dynamic model capable of addressing contemporary existential and epistemic inquiries. Ultimately, the research confirms that Quranic exegesis remains an evolving dialogical encounter, safeguarding the absolute sanctity and semantic unity of the divine text while continuously animating its meaning within the shifting horizons of human experience.

Cite this article: Mirhosseini, S A. & Karimi, A. (2026). A Rereading of Quranic Understanding in Light of Gadamerian Hermeneutics: A Case Study of the Thirtieth Part (Juz' 'Amma) Based on Al-Mizan and Al-Tahrir wa al-Tanwir Commentaries. *Qirā'atunā (Our Reading:A Hermeneutical Inquiry into Religious Texts Between Heritage and Modernity)*, 1(1), 1-31. doi: 10.22034/ghtm.2025.233146

© Author(s) retain the copyright and full publishing rights.

Publisher: International University of Islamic Denominations Press.

DOI: 10.22034/ghtm.2025.233146

Qirā'atunā (Our Reading)
قراءتنا
جامعة المذاهب الإسلامية الدولية

قراءتنا: قراءة النص الديني بين التراث والمعاصرة، المجلد١، العدد١، المتوالي١، ٢٠٢٦.

إعادة قراءة فهم القرآن الكريم في ضوء هيرمنيوطيقا غادامير: دراسة حالة الجزء الثلاثين بالاستناد إلى تفسيري الميزان و التحرير والتنوير

السيد علي ميرحسيني[١] ✉ | عليرضا كريمي[٢]

١. الكاتب المسئول، محاضر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية القرآن والحديث، جامعة المذاهب الإسلامية الدولية، طهران، إيران. البريد الالكتروني: seyyedalimh@gmail.com

٢. ماجستير في الفلسفة والكلام الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة خوارزمي، طهران، إيران.

معلومات المقال

نوع المقال: مقالة علميّة محكّمة

سجل بالمقال:

تاريخ الإرسال: ٨ أكتوبر ٢٠٢٥

تاريخ المراجعة: ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٥

تاريخ القبول: ١٨ مايو ٢٠٢٦

تاريخ النشر الإلكتروني: ٢٢ يوليو ٢٠٢٦

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم،

الهيرمنيوطيقا الفلسفية،

هانز جورج غادامير،

الفهم المسبق،

اندماج الآفاق،

الميزان،

التحرير والتنوير

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إعادة قراءة عملية فهم القرآن الكريم في ضوء الهيرمنيوطيقا الفلسفية لهانز-جورج غادامير، بوصفها إطارًا نظريًا معاصرًا يفتح أفقًا جديدًا للتفكير في العلاقة الجدلية بين النص والمفسِّر والمعنى. وينطلق البحث من فرضيةٍ مؤدّاها أنّ المفاهيم الغادامیرية -كالفهم المسبق و وعي التاريخ المؤثِّر و اندماج الآفاق وحدث المعنى- يمكن أن تشكّل أداة تحليلية فعّالة لفهم دينامية التفسير القرآني وتعدديته. اعتمدت الدراسة منهجًا تقابليًا-تحليليًا ذي طابع هيرمنيوطيقي فلسفي، من خلال دراسة تطبيقية على نماذج مختارة من الجزء الثلاثين من القرآن الكريم بالاستناد إلى تفسيرين معاصرين بارزين هما: الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي والتحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور. قد بيّن التحليل أنّ الفهم المسبق هو العامل المحدِّد لمسار التأويل عند كلٍّ من المفسِّرَين؛ فالطباطبائي، بفهمه العقلي-المنظومي، يُعيد بناء المعنى ضمن وحدة النص وانسجامه الداخلي، في حين يرى ابن عاشور، بفهمه البلاغي-التاريخي، أنّ النص حدثٌ لغويٌّ وتربويٌّ يتوجّه إلى الإنسان في واقعه الاجتماعي. أظهرت النتائج أنّ التباين بين المنهجين لا يعكس تعارضًا في المقاصد، بل تعدديّةً بنّاءةً في الفهم ناتجة عن اختلاف الآفاق التاريخية والمعرفية، ممّا يؤكد أن الفهم القرآني عملية حوارية حيّة متجدّدة، تتشكّل ضمن سياق اندماج الآفاق بين النص والقارئ. من ثمّ، فإنّ الهيرمنيوطيقا الفلسفية لا تُقوّض أصالة التراث التفسيري، بل تُسهم في إثرائه وتفعيله ضمن الأفق الإنساني المعاصر. وتكمن الإضافة العلمية لهذا البحث في اقتراح نموذجٍ تأويليٍّ جديد يجمع بين أصالة المنهج الإسلامي ومرونة الفهم الهيرمنيوطيقي، بما يتيح تطوير مقاربة تفسيرية دينامية وتاريخية قادرة على استيعاب الأسئلة المعرفية والوجودية للإنسان الحديث، مع الحفاظ على قداسة النص ووحدته الدلالية.

الاستناد: ميرحسيني، السيدعلي و كريمي، عليرضا (٢٠٢٦م). إعادة قراءة فهم القرآن الكريم في ضوء هيرمنيوطيقا غادامير: دراسة حالة الجزء الثلاثين بالاستناد إلى تفسيري الميزان و التحرير والتنوير . قراءتنا: قراءة النص الديني بين التراث والمعاصرة، ١(١)، ١-٣١. doi : 10.22034/ghtm.2025.233146

© يحتفظ المؤلف (المؤلفون) بكامل حقوق التأليف والنشر.

الناشر: دارالنشر لجامعة المذاهب الإسلامية الدولية.

doi : 10.22034/ghtm.2025.233146

١. المقدمة وإشكالية البحث والأهداف

لطالما كان فهم النصوص الدينية، وبخاصة القرآن الكريم، أحد التحديات الجذرية في حقول الإلهيات وفلسفة التأويل على حدٍ سواء. تظل قضايا طبيعة المعنى ودور المفسِّر في عملية الفهم وتأثير الافتراضات المسبقة على إنتاج المعنى، تشكّل أسئلةً محوريةً حظيت بالاهتمام عبر تاريخ التفسير الإسلامي (كديور، ١٣٩٥هـ، ص ٨٩؛ مصباح يزدي، ١٣٨٩هـ، ص ٣٥٣).

إن المسار التاريخي لتفسير القرآن يشتمل على تنوعٍ ثري من المقاربات التي تتراوح بين المناهج النقلية والمأثورة وصولًا إلى المناهج العقلانية والبلاغية والاجتماعية والفلسفية؛ حيث أقام كلُّ منهجٍ منها علاقةً خاصةً بين النص والمفسِّر والمعنى (هادوي طهراني، ١٣٩١هـ، ص ٣٠-٣٥؛ معرفت، ١٣٧٩هـ، ص ٩٨-١٠٤).

مع ظهور الهيرمنيوطيقا الحديثة ودخول أفكار مفكرين مثل شلايرماخر وديلتاي وهايدغر وغادامير إلى نطاق الدراسات الدينية، انفتح أفق جديد لإعادة التفكير في فهم النصوص المقدسة (مجد، ١٣٨٩هـ، ص ٤٥-٥٠).

في هذا السياق، تحتل الهيرمنيوطيقا الفلسفية لهانز-جورج غادامير مكانةً مميزةً. فعلى خلاف الهيرمنيوطيقا الكلاسيكية التي كانت تعتبر إعادة بناء نية المؤلف هدفها الأساسي (Palmer, 1969, pp. 84-97)، ترى هيرمنيوطيقا غادامير أن الفهم هو حدث تاريخي ولغوي يتشكل في سياق حوار جدلي بين "أفق المفسِّر" و"أفق النص" ويُفضي إلى "اندماج الآفاق" (Gadamer, 2004, pp. 269-305؛ Grondin, 2003, pp. 95-104).

في هذا التوجه، لا تُعد الافتراضات المسبقة[1] والأحكام المسبقة[2] عوائق أمام الفهم، بل هي شروط ضرورية وبناءة له، تعمل على توجيهه نحو المعنى(Gadamer, 2004, pp. 269-305؛ Feldman, 2008, pp. 60-65).

هذا المنظور يعتبر الفهم عملية دينامية وتاريخية تتأثر بالوضع الوجودي للمفسِّر و هو يبتعد عن المقاربات المغلقة والمُركِّزة على المعنى الأحادي من خلال الاعتراف بالدور الفاعل للمؤوِّل ولكنه في الوقت نفسه لا ينزلق إلى النسبية المطلقة (Zimmermann, 2015, pp. 137-148). يفسِّر هذا الإطار النظري تنوع التفاسير لا على أنه خطأ تأويلي، بل كنتيجة حتمية للاختلاف في الآفاق التاريخية والمعرفية للمفسِّرين (Izutsu, 2002, pp. 1-15).

في العالم الإسلامي، بدأ بعض المفكرين المعاصرين، مثل عبد الكريم سروش ومصطفى ملكيان ومحمد مجتهد شبستري، محاولات لفتح حوار بين المفاهيم الهيرمنيوطيقية والفهم الديني (سروش، ١٣٧٦هـ، ص ١١٢-١٢٣؛ ملكيان، ١٣٨٠هـ، ص ٤٩-٥٢). يسير البحث الحاضر في هذا المسار، مستفيدًا من المفاهيم المحورية للهيرمنيوطيقا الفلسفية لغادامير، لتقديم دراسة تقابلية لتفسيرين

---

[1] Presuppositions
[2] Prejudices

بارزين للقرآن الكريم: "الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، والتحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور".

يأتي اختيار هذين التفسيرين نتيجةً للاختلافات الجوهرية في منهجيتيهما؛ حيث يركز "الميزان"، بمنهجه الفلسفي-العقلاني، على وحدة السياق والعقلانية الداخلية للنص (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج١، ص ١٠-١٢؛ يزداني، ١٣٨٧هـ، ص ٨٥-٩٠). يمكن اعتبار هذه الطريقة، من منظور غادامير، نوعًا من اندماج الآفاق يتم فيه دمج أفق الآية مع أفق القرآن الكريم كله. على النقيض من ذلك، يركز "التحرير والتنوير"، باتجاهه الأدبي-الاجتماعي، على السياق الثقافي والتاريخي لنزول الآيات (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١، ص ١١١-١١٣). يمثل هذا التوجه أيضًا محاولةً لتقريب الأفق الدلالي للمفسِّر من الأفق التاريخي للنص (Abushab, 2007, pp. 70-75).

السؤال الرئيس لهذا البحث هو: هل يمكن للمفاهيم المحورية لهيرمنيوطيقا غادامير أن توفر أداة تحليلية لفهم الأبعاد المنهجية وعملية الفهم في هذين التفسيرين وأن تُسهم في تفسير الفروق بينهما؟ فرْضيةُ المقالة هي أن الإطار النظري لغادامير يمكن أن يقدم نموذجًا تأويليًا يتوافق مع التراث الإسلامي ويثري منجزاته ويفتح آفاقًا جديدة في التفسير القرآني المعاصر.

٢. خلفية البحث والدراسات السابقة

٢-١. الأبحاث المنشورة

-مرادي، حسن. (١٣٩٠هـ). "تحليل تقابلي بين الميزان و التحرير والتنوير في ضوء النظريات الهيرمنيوطيقية". الفصلية العلمية لعلوم القرآن والحديث، ١٢(٣)، ٤٥-٦٢.

دراسة تقابلية تضطلع بفحص نقدي لمنهجية هذين التفسيرين البارزين ضمن الإطار النظري للهيرمنيوطيقا.

-قاسمي، علي. (١٣٩٧هـ). "الهيرمنيوطيقا والتفاسير القرآنية المعاصرة". مجلة البحوث الدينية، ٢٢(١)، ٨٩-١١٠.

تحليل لتأثير النظريات الهيرمنيوطيقية في نشأة المقاربات التفسيرية القرآنية الحديثة، مصحوبًا باستقصاء للتحديات المعرفية.

-رضائي، مهدي. (١٣٩٥هـ). "الهيرمنيوطيقا في الدراسات الدينية: النظرية والتطبيق". الفصلية العلمية للعلوم الدينية، ٨، ٢٣-٤٧.

مراجعة شاملة للنظرية وتطبيق الهيرمنيوطيقا في فهم النصوص الدينية مع تركيز خاص على المباحث المعرفية والمنهجية.

-صالحي، نرجس. (١٣٩٦هـ). "نقد المقاربة الهيرمنيوطيقية لغادامير في تفسير القرآن". مجلة أبحاث فلسفة الدين، ٦(٢)، ١١٢-١٣٥.

بحث نقدي يتمحور حول قيود وتحديات تطبيق نظرية غادامير ضمن سياق تفسير القرآن الكريم.

-كرمي، سجاد. (١٣٩٨هـ). "توضيح مفهوم الحكم المسبق في هيرمنيوطيقا غادامير وتطبيقه في تفسير القرآن". الفصلية العلمية للنقد والنظر في العلوم الدينية، ١٤، ٧٨-٩٤.
بحث علمي يحلل دور الحكم المسبق في تشكيل سيرورة فهم النص المقدس استنادًا إلى الجهاز النظري لغادامير.
-أحمدي، مهدي. (١٣٩٩هـ). "اندماج الآفاق في فهم النصوص الدينية: دراسة حالة في تفسير القرآن". مجلة الفكر الديني، ١٥(١)، ٥٥-٧٣.
دراسة حالة لتطبيق مفهوم اندماج الآفاق في الفهم التأويلي المعاصر للقرآن.

٢-٢. الرسائل والأطروحات الجامعية

-موسوي، علي. (١٣٩٤هـ). "تحليل هيرمنيوطيقي للتفاسير القرآنية المعاصرة". رسالة ماجستير، جامعة العلامة الطباطبائي.
بحث تحليلي في مجال تطبيق المبادئ الهيرمنيوطيقية على المناهج التفسيرية للقرآن في العصر الحديث.
-كاظمي، محمد. (١٣٩٥هـ). "الهيرمنيوطيقا وإشكالية تعدد المعنى في تفسير القرآن". رسالة ماجستير، جامعة طهران.
دراسة شاملة لإشكالية تعدد المعنى في تفسير آيات القرآن، وبيان الحلول الهيرمنيوطيقية لإزالة الغموض الدلالي.
-حسيني، فاطمة. (١٣٩٦هـ). "تطبيق نظرية غادامير في تفسير القرآن". أطروحة دكتوراه، جامعة طهران.
بحث معمّق حول إمكانية وكيفية تطبيق الهيرمنيوطيقا الفلسفية لغادامير في الفهم التفسيري للقرآن.
-كريمي، زهراء. (١٣٩٧هـ). "دور الفهم المسبق في عملية تفسير القرآن من منظور هيرمنيوطيقا غادامير". رسالة ماجستير، جامعة الفردوسي - مشهد.
دراسة تخصصية حول تأثير المفاهيم المسبقة للمفسر على مسار تفسير القرآن وفق مبادئ هيرمنيوطيقا غادامير.

إن هذا البحث، باختياره تفسيرين معاصرين بارزين وقيّمين للقرآن وهما الميزان والتحرير والتنوير، كنموذجين للتحليل التقابلي، يسعى إلى التوصل إلى مفاهيم وإدراكات جديدة لعملية التفسير القرآني المعاصر، عبر الإطار النظري للهيرمنيوطيقا الفلسفية لهانز جورج غادامير.

الهدف الرئيس للبحث هو إظهار أن نظرية غادامير يمكن أن توفر أداة تحليلية ناجعة لفهم التعقيدات الدلالية للنص والدور الفاعل للمفسر وهي مفاهيم لم تحظَ باهتمام كبير في المقاربات التفسيرية التقليدية ولكنها في الوقت ذاته لا تتعارض مع أسس وقيم التراث الإسلامي. فإن هذا البحث، بينما يعمِّق الإدراك النظري الهيرمنيوطيقي، يقدّم مسارًا جديدًا لتطوير منهجية تفسير القرآن؛ مسارًا يحفظ أصالة التقليد ويوفر في الوقت نفسه قدرة المرونة والابتكار في فهم النصوص الدينية.

٣. المباني النظرية

٣-١. تفاسير الميزان و التحرير والتنوير

يُعدّ تفسير "الميزان في تفسير القرآن" للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رضوان الله عليه) من التفاسير البارزة والمحورية في المدرسة الشيعية خلال العصر المعاصر وقد أُلِّفَ بالمنهج الخاص "تفسير القرآن بالقرآن. "

في هذه المنهجية، يستعين المفسِّر بآيات القرآن الأخرى لتبيان معنى الآية محل البحث، مؤكدًا على الانسجام الداخلي و وحدة المعنى للآيات بدلًا من الاعتماد على المعطيات الخارجية (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج١، ص ١٠-١٢). إضافة إلى ذلك، يستفيد العلامة من منظور عقلاني و فلسفي، حيث يحلل محتوى القرآن في ضوء المباحث الوجودية -الأنطولوجية- والمعرفية -الإبستمولوجية- والكلامية (مصباح يزدي، ١٣٨٩هـ، ص ٣٥٣-٣٥٨).

يرى الطباطبائي أن القرآن يمتلك مستويات دلالية عميقة لا يمكن بلوغها إلا من خلال توظيف العقل ضمن إطار القرآن نفسه. لقد حوّل هذا المنظور تفسير الميزان إلى تفسير مؤثر ومتميّز في مجال الفهم الديني؛ تفسيرٌ يعنى بظاهر الآيات وبنيتها اللغوية وفي الوقت ذاته بطبقاتها المفاهيمية والفلسفية (كديور، ١٣٩٥هـ، ص ١٤٣-١٤٨).

يُمثّل تفسير "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر بن عاشور أحد التفاسير المرموقة في مدرسة أهل السنة والجماعة خلال القرن الرابع عشر الهجري ويحظى بمكانة مُتفرّدة في العالم العربي على وجه الخصوص.

يرتكز التوجه الرئيس لهذا التفسير على التحليلات الأدبية واللغوية والبلاغية للآيات والتي يعتبرها المؤلف مُقدَّمة على أي تأويل دلالي آخر (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج١، ص ١١١-١١٣). فابن عاشور يرى أن الفهم السليم للقرآن يستلزم إدراكًا عميقًا للغة العربية وبُناها النحوية وأسلوبها البياني.

علاوة على ذلك، يولي اهتماما خاصا للسياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية لنزول الآيات، ساعيًا لفهم معنى القرآن ضمن الإطار الحضاري و وقائع زمان نزوله (Abushab, 2007, pp. 70-75).

لقد جعل هذا التوجه من التحرير والتنوير نموذجًا للتفسير الديناميكي المتلائم مع الاحتياجات الفكرية والاجتماعية للعصر الحديث. يعتبر بعض الباحثين منهج ابن عاشور مثالًا على التفسير "المقاصدي"، الذي يركّز على استكشاف الأهداف والمقاصد الكلية للشريعة ضمن الطبقات الدلالية لآيات القرآن (Feldman, 2008, pp. 88-92; Al-Arousi, 2018, pp. 102-105).

٣-٢. هانز-جورج غادامير والهيرمنيوطيقا الفلسفية

يُعدّ هانز-جورج غادامير (م٢٠٠٢-١٩٠٠) أحد أبرز فلاسفة القرن العشرين وتلميذًا مباشرًا لمارتن هايدغر، حيث تأثر بفلسفته أيّما تأثُّر. لقد أرسى غادامير أسسًا جديدة للهيرمنيوطيقا الفلسفية عبر عمله التأسيسي، "الحقيقة والمنهج[1]"، الذي نُشر لأول مرة في عام ١٩٦٠م.

على النقيض من التقليد الهيرمنيوطيقي الكلاسيكي الذي ظهر في أعمال شلايرماخر وديلتاي والذي كان يعتبر إعادة بناء نية المؤلف هي الغاية الأساسية للفهم، يرى غادامير أن الفهم هو سيرورة تاريخية، حوارية، وبينذاتية[2] لا يتم فيها اكتشاف المعنى، بل يتولّد ويظهر في التفاعل الجدلي بين أفق المفسِّر وأفق النص (Gadamer, 1989, pp. 269-305; Palmer, 1969, pp. 183-210).

٣-٢-١. وعي التاريخ المؤثر والأحكام المسبقة

استلهم غادامير من هايدغر مفهوم "وعي التاريخ المؤثر"[3] ويرى - في إطار تصوره - أنّه لا يمكن لأي مفسِّر أن يبلغ فهم النص خارج التاريخ والتقاليد؛ لأن الافتراضات المسبقة و الأحكام المسبقة تضطلع دائمًا بدور في تشكيل الفهم.

على خلاف الآراء الكلاسيكية التي كانت تعتبر الأحكام المسبقة عائقًا أمام الفهم، يرى غادامير أنها شرط إمكان الفهم ذاته (Gadamer, 1989, p. 276). في هذا الإطار، لا تُعدّ التقاليد -السُّنَّة- عائقًا أمام الفهم، بل هي بؤرة حية وديناميةيتولّد المعنى وينشأ في داخلها (Laverdure, 2022, p. 271).

٣-٢-٢. اندماج الآفاق

يُعدّ "اندماج الآفاق" أحد المفاهيم المحورية في فكر غادامير ويُمثّل "الأفق" مجموعة من المفاهيم المسبقة والتوقعات التي يدرك المفسِّر العالم من خلالها وبالمثل، يمتلك النص أفقه التاريخي والدلالي الخاص به.

يحدث الفهم عندما يندمج هذان الأفقان معًا في سيرورة حوارية[4] وينتج عن هذا الاندماج أفق جديد من المعنى (Gadamer, 1989, pp. 306-310; Davey, 2006, pp. 54-68).

هذه السيرورة لا تعني هيمنة كاملة لأفق المفسِّر على النص ولا تعني انحلال المفسِّر في الأفق التاريخي للنص، بل هي نوع من التآزُر الدلالي[5] الذي يتولد من خلاله معنى مبتكر (Dienstag, 2016, pp. 142-145).

---

[1] Truth and Method
[2] Intersubjective
[3] Wirkungsgeschichtliches Bewusstsein
[4] Dialogical Process
[5] Semantic Synergy

٣-٢-٣. اللغة أو سياق الفهم[1]

تحتل اللغة[2] في فلسفة غادامير مكانةً تأسيسيةً[3] فهو لا يعتبر اللغة مجرد أداة لنقل المعنى، بل هي الوسط الأنطولوجي[4] لكل فهم ممكن. يُعبِّر غادامير عن هذا الموقف بمقولته المشهورة: "الوجود القابل للإدراك هو اللغة" (Gadamer, 1989, p. 432).

من هذا المنظور، تُعدّ عملية الفهم تجربةً لغوية يتولّد فيها المعنى ويظهر عبر الحوار والتفاعل ضمن سياق اللغة (O'Keeffe, 2022, pp. 46-48).

٣-٢-٤. حدث المعنى[5]

يُشدد غادامير أيضًا على حدث المعنى. فهو لا يرى المعنى أمرًا جامدًا ومُختبئًا كامنًا في النص، بل يعتبره حدثًا يقع في لحظة الحوار بين المفسِّر والنص وضمن سياق تاريخي مُحدّد. لذلك، لا يمكن لأي فهم أن يكون نهائيًا أو قاطعًا؛ بل يمكن لكل جيل، عند مواجهة النص، أن يُنتج معنى جديدًا (Feldman, 2008, pp. 60-65).

يخضع هذا الحدث للموقع التاريخي والأفق الدلالي الخاص بالمفسِّر ولهذا السبب تحديدًا، لا يكون فهم النص نهائيًا أو قاطعًا أبدًا وفي سياق تفسير القرآن، يُؤدي هذا المنظور إلى انفتاح دلالي للنص؛ بمعنى أن كل جيل، بأفقه واحتياجاته الخاصة، يمكنه أن يستخلص معنى جديدًا وحيويًا من الوحي الإلهي، دون أن يدعي الاحتكار أو التفسير النهائي.

إن الهيرمنيوطيقا الفلسفية لغادامير، بتأكيدها على تاريخية الفهم، والدور الفاعل للمفسِّر وديناميةمعنى النص، تُهيئ الإمكانية لظهور تفسيرات مبتكرة للنصوص الدينية ولاسيما القرآن الكريم. في هذا التوجه، لا يتم تجاهل أو نقض التقليد التفسيري السابق، بل يوضع في حوار خلاّق مع الأفق الدلالي للمفسِّر المعاصر. يوفر هذا المنظور، خاصةً في المقارنة التفسيرية بين أعمال مثل الميزان و التحرير والتنوير، إطارًا مناسبًا لاكتشاف قدرات دلالية جديدة في القرآن الكريم.

٤. منهجية البحث

يتخذ هذا البحث مقاربة كيفية وتأويلية -كيفية وتفسيرية- ويسعى إلى تحليل نماذج من آيات القرآن الكريم ضمن الإطار النظري للهيرمنيوطيقا الفلسفية لهانز-جورج غادامير. تعتمد منهجية العمل في هذه الدراسة على مزيج من التحليل التقابلي -المقارن- و التأويل الهيرمنيوطيقي وتُنفَّذ عبر ثلاث خطوات رئيسة:

---

[1] Sprache oder Horizont des Verstehens
[2] Sprache
[3] Foundational Position
[4] Ontological Medium
[5] Geschehen

٤-١. اختيار الآيات النموذجية

في الخطوة الأولى، يتم انتقاء مجموعة من آيات القرآن الكريم من الجزء الثلاثين التي تتمتع بسعة دلالية وقابلية عالية للتفسير، مع مراعاة موضوع الدراسة. يكون معيار اختيار هذه الآيات هو احتوائها على مضامين معرفية أو أخلاقية أو اجتماعية حظيت سابقًا باهتمام المفسِّرين وتتمتع بقابلية التحليل ضمن إطار مفاهيم غادامير مثل: الفهم المسبق واندماج الآفاق وحدث المعنى.

٤-٢. الدراسة التقابلية للتفاسير التقليدية

في هذه المرحلة، يتم فحص وتحليل آراء المفسِّرين البارزين من سُنَّتين فكريتين مختلفتين بخصوص الآيات المنتقاة: العلامة الطباطبائي في تفسير "الميزان" من المنظور الشيعي والشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسير "التحرير والتنوير" من منظور أهل السنة. يهدف هذا الجزء إلى تحديد أوجه التشابه والاختلاف في كيفية فهم وشرح الآيات واستخلاص الافتراضات المسبقة والمقاربات التأويلية لكل من المفسِّرين.

٤-٣. التحليل الهيرمنيوطيقي المستند إلى غادامير

في المرحلة الختامية، تتم إعادة قراءة الآيات المنتقاة بالاعتماد على المفاهيم الجوهرية للنظرية الهيرمنيوطيقية لغادامير وعلى رأسها: "الفهم المسبق" و"اندماج الآفاق" و"حدث المعنى". في هذه الإعادة للقراءة، يُنظر إلى الأفق الدلالي للمفسِّر المعاصر كجزء من عملية الفهم ويُسعى إلى إتاحة المجال لإنتاج دلالات جديدة تتناسب مع احتياجات وتساؤلات العصر الراهن، مع المحافظة على الانسجام الداخلي للنص ودون نفي التفاسير السابقة.

بناءً على ذلك، فإن البحث الحاضر لا يسعى إلى نقض التفاسير التقليدية ولا يقصد جعل المعنى تابعًا بالكامل للموقع المعاصر؛ بل يهدف، عبر الاستفادة من القدرة الجدلية -الديالكتيكية- لنظرية غادامير، إلى تقديم تفسير دينامي وتاريخي وبينذاتي للنص القرآني؛ تفسير يمتد في سياق التقليد ولكنه يُشرف على آفاق جديدة.

٥. التحليل التقابلي للآيات في ضوء هيرمنيوطيقا غادامير

٥-١. التحليل الهيرمنيوطيقي لآيات عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ* الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ* كَلَّا سَيَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (النبأ، ١-٥)

إن الآيات الافتتاحية لسورة النبأ تستدعي المخاطَب بالسؤال البلاغي عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، إلى قضية جوهرية كانت تمثل نقطة جدل وخلاف بين المجتمع المكي الأول. يُعدّ هذا السؤال نقطة انطلاق مناسبة للبحث الهيرمنيوطيقي، لأن بنيته اللغوية هي بطبيعتها محورية للحوار[1]، مما يتيح إمكانية

[1] Dialogical

اندماج آفاق المفسِّر والنص. يكشف تحليل هذه الآيات في تفسيري العلامة الطباطبائي و بن عاشور عن نموذجين بارزين لتطبيق المفاهيم المحورية للهيرمنيوطيقا الفلسفية لغادامير.

رؤية الميزان

يتناول العلامة الطباطبائي تفسير هذه الآية مُنطلقًا من فهمه المسبق لا لوحدة الداخلية والانسجام الذاتي للقرآن. ففي نظره، لا يمكن فهم "النبأ العظيم" إلا من خلال سياق الآيات والإحالة إلى البنية القرآنية الكلية ومن منظور هيرمنيوطيقي، يعكس هذا الفهم المسبق إطاره التفسيري الخاص الذي يعمل في قالب "تفسير القرآن بالقرآن". في هذه السيرورة، لا يُعدّ الحكم المسبق -الافتراض المسبق بوحدة النص- عائقًا، بل هو شرط لإمكان الفهم (Gadamer, 2004, pp. 272-276).

يستخلص الطباطبائي معنى "القيامة " كمصداق للنبأ العظيم من خلال اندماج أفق آية عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ مع الأفق الدلالي لآيات السورة التالية والشواهد القرآنية الأخرى (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص١٥٣). تُظهر هذه المنهجية أن الفهم في الميزان هو عملية دينامية وجدلية؛ فالمعنى لا ينبع من النص وحده ولا من ذهن المفسِّر وحده، بل من الحوار بين الآفاق القرآنية المختلفة.

رؤية التحرير والتنوير

يرتكز ابن عاشور على فهم مسبق آخر وهو أن القرآن نزل في سياق تاريخي-اجتماعي مُحدّد وكان هدفه الرئيس الإقناع والتأثير في المخاطبين الأوائل. في ضوء هذا الفهم المسبق، يُحلّل معنى "النبأ العظيم" ليس فقط ضمن إطار الوحدة الداخلية للنص، بل بالارتباط بظروف مكة التاريخية والجدل بين المشركين حول رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

من منظوره، فإن السؤال البلاغي في الآية الأولى هو أداة بلاغية لجذب انتباه المخاطبين وتهيئتهم لتقبّل رسالة الوحي (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص٧). في هذا المقام، يتشكل اندماج الآفاق بين الأفق التاريخي للنص والأفق الذهني للمفسِّر وتكون نتيجته معنىً يُعرِّف رسالة النبي ونزول الوحي كأهم خبر وحدث للمجتمع المكي. يُبيّن هذا التوجه أن الفهم في التحرير والتنوير هو أساسًا فهم وظيفي وتاريخي يتشكل سعيًا للاستجابة للاحتياجات الخاصة لمخاطبي عصر النزول.

التحليل التقابلي

الفهم المسبق

إن سيرورة الفهم تبدأ دائمًا بالفهم المسبق. فمخاطب آيات سورة النبأ، سواء في زمن النزول أو في العصر الراهن، يدخل في حوار مع النص وهو مُزَوَّدٌ بمجموعة من المعتقدات والتوقعات والتساؤلات الجوهرية.

- المخاطبون الأوائل (سياق النزول): كان مشركو مكة يستمعون إلى الآيات بفهم مسبق مُشوب بالإنكار والشك تجاه قضية المعاد على وجه الخصوص. فبالنسبة إليهم، كانت إمكانية قيام الساعة وعودة الإنسان بعد الموت أمرًا لا يُصدَّق.

- المخاطب المعاصر (سياق التلقي): قارئ اليوم وإن لم يكن منكرًا للقيامة بالضرورة، فإن فهمه المسبق يتشكل ضمن أفق التساؤلات الوجودية والفلسفية الحديثة وهي تساؤلات تتمحور حول معنى الحياة ومصير الإنسان في عالم مُهيمن عليه بالطابع العلمي وعلاقة الدين بالمعرفة الحديثة.

إن هذا التباين في أنماط الفهم المسبق يُشير إلى أن النص القرآني مصاغ بطريقة تُشرك المخاطب دائمًا في التساؤلات الجوهرية للحياة وتدفعه نحو إعادة التفكير[1].

اندماج الآفاق

إن السؤال الافتتاحي عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ليس مجرد تقرير عن حوار المشركين، بل هو مستهل لحوار هيرمنيوطيقي. فمن منظور غادامير، يتشكل الفهم عندما يندغم الأفق الدلالي للنص مع الأفق الدلالي للقارئ.

- أفق النص: يفتح القرآن، من خلال طرح السؤال ثم الإجابة "عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ"، أفقًا جديدًا يجعل من قضية القيامة ومصير الإنسان هي البؤرة الدلالية.[2]
- أفق القارئ: يدخل القارئ إلى النص مُحمّلًا بمفاهيمه المسبقة ويختبر معنى "النبأ العظيم" ليس مجرد خبر تاريخي، بل حقيقة وجودية وحيّة.

هنا يتجلى الخلاف الدلالي حول "النبأ العظيم "الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ويُشير هذا الاختلاف إلى أن الحقيقة ليست متاحة بسهولة وليست مستقلة عن الآفاق التاريخية والمعرفية. على حد تعبير غادامير، فإن فهم النص هو دائمًا حوار دينامي بين الماضي والحاضر.

تأثير التاريخ

يُعدّ الاهتمام بتاريخ تأثير النص أحد الأركان الجوهرية في نظرية غادامير. فالنبأ العظيم قد اكتسب مدلولات متعددة عبر التاريخ الإسلامي:

- بعض المفسِّرين أولوه بالقيامة.
- مجموعة أخرى ربطته بالقرآن الكريم أو حتى بنبّوة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد تشكّل كل تفسير من هذه التفاسير في ظروف تاريخية مُحدّدة وربط معنى النص بآفاق متباينة. فإن فهم النص القرآني ليس سيرورة جامدة، بل هو عملية إعادة إنتاج دائمة ضمن سياق التاريخ والتقاليد التفسيرية. من منظور هيرمنيوطيقا غادامير، لا يمكن اعتبار الآيات الافتتاحية لسورة النبأ مجرد تقرير عن القيامة بل إن هذه الآيات هي "حدث لغوي"[3] يُولّد معنى جديدًا ووجوديًا في لحظة مواجهة القارئ للنص. يطرح النص تساؤلات جوهرية ويقوم المخاطب بالاستجابة لها عبر مفاهيمه المسبقة وفي هذا الحوار، تتداخل آفاق النص والقارئ معًا، لتتجلى الحقيقة للمخاطب بصيغة مُتجدّدة.

---

[1] Re-thinking
[2] Semantic Nucleus
[3] Linguistic Event

لذلك، فإن "النبأ العظيم" ليس موضوعًا تاريخيًا فحسب، بل هو حدث هيرمنيوطيقي يمكن أن يُنتج معنى جديدًا وحيويًا في كل عصر ولكل مخاطب.

٥-٢. التحليل الهيرمنيوطيقي لآيات وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا* وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا* وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا* فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (النازعات، ١-٥)

تستهل الآيات الافتتاحية لسورة النازعات بأقسام رمزية ومُدَوّية تضع أمام المفسِّر فضاءً تفسيريًا مُعقَّدًا ومتعدد الطبقات. إن المقارنة بين تحليل هذه الآيات في تفسيري الميزان و التحرير والتنوير تُبيّن كيف أن آفاق الفهم المسبق للمفسرين تُحدّد مسار فهمهم وهي قضية يمكن تفسيرها ببراعة عبر مفاهيم الهيرمنيوطيقا الفلسفية لغادامير.

رؤية الميزان

يُعالج العلامة الطباطبائي الآيات انطلاقًا من فهمه المسبق الفلسفي-العقلاني، إذ يعتبر القرآن نصًا ذا انسجام داخلي ومنظومي وبناءً على ذلك، يربط الأقسام الافتتاحية للسورة بالملائكة الموكلة بتدبير العالم وخاصة ملائكة الموت. هذا التفسير هو نتاج اندماج للآفاق الداخلية للنص؛ بمعنى أن العلامة، بالرجوع إلى البنية الكلية للسورة وربطها بمباحث المعاد، يفهم دلالة الآيات ضمن إطار منظومة فلسفية-كلامية متماسكة. إن تحاشيه الاعتماد على الروايات وحدها يُشير إلى تَقَدُّم "الفهم المسبق العقلاني" على القراءات الأخرى (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص١٦٤). في هذا المقام، لا يُمثّل الفهم إعادة تمثيل للمعنى اللغوي للأقسام فحسب، بل هو ظهور معنى جديد ضمن الأفق العقلاني للمفسِّر وهو حدث يتوافق تمامًا مع فكرة غادامير حول الفهم بوصفه اندماجًا للآفاق (*Gadamer, 2004, p. 305*).

رؤية التحرير والتنوير

يعتمد ابن عاشور على فهم مسبق بلاغي-تاريخي؛ إذ يرى القرآن نصًا بيانيًا وإقناعيًا نزل بغرض التأثير في المخاطبين الأوائل وفي ضوء هذا الفهم المسبق، لا يفسّر أقسام وَالنَّازِعَاتِ بكائنات غيبية، بل بطريقة بلاغية تهدف إلى التأكيد على أهمية القيامة. في هذا التوجه، تتجلى دلالة الآيات في سيرورة "حدث لغوي" وهو حدث يهدف إلى إقناع المخاطبين الأوائل وإنذارهم وإيقاظ وعيهم الذهني. تُعدّ هذه النظرة مثالًا لاندماج الآفاق بين الأفق التاريخي-البلاغي للنص وأفق المفسِّر وهو ما يعتبره غادامير أساس الفهم (Gadamer, 2004, p. 370). تبعًا لذلك، يرتكز فهم ابن عاشور على الوظيفة الخِطابية للغة وليس على الانسجام الداخلي للنص (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص٢٣).

التحليل التقابلي

الفهم المسبق

يتشكل كل فهم على خلفية الفهم المسبق. فالقارئ للآيات الافتتاحية لسورة النازعات، سواء في زمن النزول أو في العصر الراهن، يأتي إلى النص محملًا بمجموعة من المعتقدات القَبْلية حول التوحيد ودور الملائكة والموت والحياة بعده.

- المخاطبون الأوائل: في فضاء مكة، كان الإيمان بالموت أمرًا بديهيًا، لكن الاعتقاد بالقيامة ودور الملائكة في تدبير العالم كان محل شك أو إنكار لدى العديد من المشركين.
- المخاطب المعاصر: يدخل القارئ اليوم إلى النص بفهم مسبق مختلف؛ فمن جهة، يمتلك إرث التقاليد الدينية والتفسيرية ومن جهة أخرى، يواجه تساؤلات فلسفية وعلمية حول الحياة والموت وما وراء الطبيعة.

تهيئ هذه الأنماط المتباينة من الفهم المسبق الأرضية للانخراط في حوار مع النص والتساؤل عن حقيقة الموت ودور الملائكة.

اندماج الآفاق

تفتح بنية الآيات ذات الأقسام المتوالية (وَالنَّازِعَاتِ وَالنَّاشِطَاتِ وَالسَّابِحَاتِ) أفقًا جديدًا للقارئ؛ أفقًا يتجاوز العالم المادي ويدخل إلى ساحة الغيب والآخرة.

- أفق النص: تُقدّم الآيات الملائكة ككائنات دينامية وفاعلة: نازعات، ناشطات، سابحات، سابِقات ومُدبِّرات. تضع هذه الدينامية أمام المخاطب صورة متجددة للنظام والإرادة الإلهية في الموت والحياة.
- أفق القارئ: يدخل القارئ إلى هذا الأفق بفهمه المسبق عن الموت والقيامة وبالتالي، لم يعد الموت يُفهم على أنه نهاية مُطلقة، بل يظهر كسيرورة هادفة وخاضعة للتدبير الإلهي. تُنشئ الأقسام هنا، لا مجرد قضايا خبرية، بل تجربة وجودية تدفع القارئ إلى التأمل في حقيقة الموت والحياة بعده.

تأثير التاريخ

لقد اكتسب مفهوم "نازعات، ناشطات، سابحات و..." دلالات متعددة عبر تاريخ التفسير الإسلامي:

- التفسير الملائكي:[1] ربط غالبية المفسِّرين هذه المفردات بالملائكة.
- التفسير الكوني:[2] ربطها البعض بالأجرام السماوية كالنجوم والكواكب.
- التفسير الأنثروبولوجي والعرفاني: أوّلتها مجموعة أخرى بأرواح البشر أو الحالات الروحانية.

يُشير هذا التنوع التفسيري إلى أن النص يُولّد دائمًا دلالات جديدة ضمن سياق التاريخ وأن كل قارئ يستخلص معنى مختلفًا من الآيات متأثرًا بتقاليده وظروفه التاريخية. إن فهمنا اليوم هو حصيلة لتراكم تاريخ التأثير هذا.

من منظور هيرمنيوطيقا غادامير، لا تُمثّل الآيات الافتتاحية لسورة النازعات مجرد إفادة خبرية، بل هي حدث وجودي ولغوي يُدخل المخاطب في تجربة متجددة. فالنص، بأقسامه وتساؤلاته، يستدعي القارئ إلى الحوار وهو حوار تتداخل فيه دلالة النص مع أفق القارئ، لتتجلى له حقيقة الموت والنظام الإلهي في الكون بشكل جديد. بهذا، لا يكون فهم هذه الآيات متحققًا لمرة واحدة وإلى الأبد،

---

[1] Angelological
[2] Cosmological

بل هو دورة دينامية ولا متناهية من التأويل؛ دورة تُولّد في كل مواجهة جديدة معنىً مستحدثًا وتدعو المخاطب إلى التعمق في التفكير حول حقيقة الوجود.

٥-٣. التحليل الهيرمنيوطيقي لآيات عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى* أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى* فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى* وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (عبس، ٧-١)

تُعدّ الآيات الافتتاحية لسورة عبس، نظرًا لشأن نزولها التاريخي، من أهم المواضع المناسبة للتحليل التقابلي للمقاربات التفسيرية. تضع هذه الآيات تفسيري الميزان والتحرير والتنوير في مسار هيرمنيوطيقي مُغاير، مما يكشف عن الأُسس المنهجية الجوهرية لكل من المفسِّرين.

رؤية الميزان

يستفيد العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآيات من فهمه المسبق القائم على عصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا الافتراض المسبق، الذي يتأصّل في المباني الكلامية والعقلانية الشيعية، يُشكّل الإطار الأساسي لفهم العلامة. فهو يرى أن سلوك عَبَسَ وَتَوَلَّى لا يتوافق مع مقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يمكن أن يُسند إليه (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص١٧٦). من المنظور الهيرمنيوطيقي، يُبين هذا التفسير تأثير "تاريخية الفهم "في مدلول غادامير؛ أي أن فهم المفسِّر يتشكل دائمًا ضمن إطار تقاليده وعقائده القَبلية (Gadamer, 2004, p. 370).

يتوصّل العلامة، عبر اندماج الآفاق بين أفق النص-ظاهر الآيات- وأفقه العقلي-الكلامي، إلى أن المقصود بـ عَبَسَ هو شخص غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). في هذه السيرورة، يُصار إلى تعديل ظاهر الآيات بالحكم العقلي وينشأ حدث دلالي جديد يتوافق مع افتراضاته الكلامية المسبقة. يُشير هذا التوجه إلى أولوية المبادئ العقلية-الفلسفية على القرائن الظاهرية والتاريخية (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص١٧٧).

رؤية التحرير والتنوير

ينظر ابن عاشور إلى هذه الآيات بمقاربة مختلفة ترتكز على الهيرمنيوطيقا التاريخية والاجتماعية ففهمه المسبق يقوم على أن القرآن هو في المقام الأول نص تاريخي وتربوي نزل ضمن سياق اجتماعي مُحدّد وبدون التشكيك في عصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، يُحلّل ابن عاشور سلوك عَبَسَ على أنه عتاب لطيف من الله عز وجل. في هذا المقام، يُنشئ اندماج الآفاق بين الأفق التاريخي للنص -سلوك النبي في ذلك الموقف الخاص- والأفق التربوي للمفسر معنىً جديدًا يُشير إلى أن هذا السلوك كان هفوة إنسانية غير مقصودة وأن الآيات نزلت بغرض الإرشاد والتربية. ضمن هذا الإطار، تتجلى الدلالة كحدث تربوي-تاريخي، يكون هدفه الأساسي هو استخلاص الرسائل الأخلاقية والاجتماعية للمخاطبين (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص١٢٠).

التحليل التقابلي

الفهم المسبق

تبدأ سيرورة الفهم دائمًا بالفهم المسبق فقارئ هذه الآيات يدخل إلى النص وهو مُحمَّل بفهم مسبق للمقام الرفيع للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومكانته الأخلاقية. هذا الفهم المسبق الأولي يمكن أن يُولّد مفاجأة في المواجهة الأولى مع الآيات؛ إذ لا يُتوقع أن يتعرض نبيٌّ معصوم لعتاب إلهي كهذا وتتحوّل هذه المفاجأة ذاتها إلى فرصة لحوار أعمق مع النص.

اندماج الآفاق

في هذه الآيات، يتداخل الأفق الدلالي للنص مع الأفق الدلالي للقارئ في سيرورة دينامية:

- أفق النص: ينتقل النص، عبر سرد حدث تاريخي –مواجهة النبي مع عبد الله بن أم مكتوم، الصحابي الكفيف–، إلى مستوى أخلاقي وتربوي وتكمن الرسالة الجوهرية للآيات في أن التقييم الديني لا يقوم على المكانة الاجتماعية والظواهر، بل على صدق النية وطلب الحقيقة.
- أفق القارئ: يدخل القارئ إلى النص مُحمّلًا بفهمه المسبق عن العدالة الإلهية وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتدفعه مواجهة هذه الآيات إلى تجاوز تصوراته القَبْلية وإدراك أن إهمال باحث عن الحقيقة –حتى وإن كان من طبقة ضعيفة أو يفتقر إلى الحيثية الاجتماعية– يُعدّ مذمومًا.

من خلال هذه السيرورة، تنشأ دلالة جديدة إذ يُحوّل القرآن معيار القيمة من الظواهر الاجتماعية إلى العمق الباطني للبحث عن الحقيقة وتُحدث هذه التجربة لدى القارئ تحوّلًا أخلاقيًا ووجوديًا.

تأثير التاريخ

كانت هذه الآيات محل نقاش واسع في تاريخ التفسير الإسلامي:

- سعى بعض المفسِّرين إلى تبرير أو تأويل النص للحفاظ على قضية عصمة النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–.
- اعتبرت مجموعة أخرى هذه الآيات شاهدًا على المكانة المحورية للأخلاق في الإسلام؛ لدرجة أن النبي نفسه يتعرض للخطاب الإلهي.

يُشير هذا التنوع التأويلي إلى أن دلالة النص أُعيد إنتاجها وبقيت حية عبر التاريخ، تبعًا للهُموم الكلامية أو الأخلاقية أو الاجتماعية لكل فترة.

من منظور هيرمنيوطيقا غادامير، لا تُمثّل الآيات الافتتاحية لسورة عبس مجرد تقرير تاريخي، بل هي حدث هيرمنيوطيقي تنكشف فيه الحقيقة الأخلاقية للقارئ. يتحدى النص الافتراضات المسبقة الأولية ويفتح أفقًا جديدًا للقيم. في عملية اندماج الآفاق، يتولّد فهم جديد ووجودي. بهذا فإن القرآن ليس كتابًا تعليميًا فحسب، بل هو نص دينامي وحواري؛ نص يُنشئ معنىً متجددًا ضمن سياق التاريخ وفي كل مواجهة فردية ويدعو القارئ إلى إعادة التفكير الأخلاقي والوجودي.

يُعدّ هذا الشرح مصداقًا واضحًا لنظرية غادامير، التي ترى الفهم ليس اكتشافًا لحقيقة ثابتة، بل حدثًا ديناميًا يرتكز على المفاهيم المسبقة للمفسِّر (Palmer, 1969, p. 174–180; Grondin, 2003, p. 103–109).

٥-٤. التحليل الهيرمنيوطيقي لآيات إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ* وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ* وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ* وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ* وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ* وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (التكوير، ١-٩)

تُوفّر الآيات الافتتاحية لسورة التكوير، بما تتضمنه من وصف حي ومُزلزل لأحداث يوم القيامة، سياقًا مناسبًا لبحث مقاربتين مختلفتين في فهم النصوص. يُسهم هذا التحليل، استنادًا إلى هيرمنيوطيقا غادامير، في إجلاء الفروقات الجوهرية بين الفهم المسبق للمفسرين وتأثيره على دلالة الآيات. فالفهم المسبق واندماج الآفاق هما مفاهيم مفتاحية تُبرهن على أن فهم المفسِّر يتشكل دائمًا ضمن إطار تقاليده وعقائده القَبلية (Gadamer, 2004, p. 370).

رؤية الميزان

ينطلق العلامة الطباطبائي من فهمه المسبق القائم على وحدة السياق والنظام العقلاني للقرآن، فيحلل جميع آيات السورة في سياق إثبات حقيقة القيامة والمعاد وعبر اندماج الآفاق الداخلية للنص، يتناول آيات وصف الحوادث الكونية بوصفها مقدمة ضرورية للمبحث الرئيس للسورة. تُفَسَّر كلمة كُوِّرَتْ ضمن إطار العلامة الفلسفي بمعنى الانطواء وزوال النظام القائم في العالم المادي. في هذا التحليل، تتجلى الدلالة ليس بشكل مُجزأ، بل كجزء من كُلٍّ فلسفي متماسك. يُشير هذا التوجه إلى أولوية العلامة للانسجام العقلي والداخلي للنص على التفاسير الروائية والمنفصلة (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص١٩٥).

رؤية التحرير والتنوير

يَنظر ابن عاشور بفهم مسبق بلاغي-أدبي، مُعتبرًا القرآن نصًا بيانيًا ومؤثرًا نزل لمخاطبة الجمهور الأوّل. عبر اندماج الآفاق بين ذاته والأفق البلاغي للنص، يُفسّر الأوصاف الواردة في الآيات على أنها أداة لإحداث صورة حية ومُروّعة ليوم القيامة. إن الهدف من هذه الأوصاف هو استثارة حس الخوف والمسؤولية لدى المخاطب وإقناعه بحقيقة المعاد. في هذا التحليل، تتجلى الدلالة في قالب "حدث بلاغي" الذي يتجاوز مجرد الإخبار ليُفضي إلى تغيير السلوك وتقوية الإيمان لدى المخاطب (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص١٥٣).

التحليل التقابلي

الفهم المسبق

يواجه قارئ الآيات فهمًا مسبقًا لنظام وثبات العالم الطبيعي. فالشمس والنجوم والجبال والبحار هي رموز الاستقرار والثبات في الحياة اليومية للإنسان ويُهيئ هذا الفهم المسبق الأولي الأرضية لإدراك شدة وهول التحولات الكونية الموصوفة في الآيات.

- المخاطبون الأوائل: كان أهل زمن النزول يتعاملون مع تصور لعالم مستقر ومتوقع، لكن آيات التكوير تتحدى النظام الظاهري للكون.
- المخاطب المعاصر: يدخل قارئ اليوم إلى النص بفهم مسبق علمي لقوانين الطبيعة ونظام الكون وتدعوه مواجهة الآيات إلى التأمل في زوال وعدم ثبات هذه الطبيعة.

اندماج الآفاق

تفتح آيات سورة التكوير، بوصفها للتحولات الكونية والطبيعية العظيمة أفقًا دلاليًا جديدًا وتُدخل القارئ في تجربة وجودية:

- أفق النص: تُصوّر الآيات تحوّل الشمس والنجوم والجبال والبحار وتتجاوز النظام الظاهري للكون وتُشير هذه التحولات إلى نوع من الفوضى المُنظَّمة التي تُمّهِد لنظام وحقيقة أكثر غائية.
- أفق القارئ: يدخل القارئ إلى هذا الأفق المُضطرب بفهمه المسبق عن العالم الثابت فيُدرك أن الاستقرار الحقيقي إنما يوجد في عالم الغيب والآخرة ويُنشئ الانتقال من الوقائع الكونية إلى الوقائع الأرضية والسؤال الأخلاقي بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ رباطًا بين العالم المادي والعالم الأخلاقي، مشكّلًا النواة الأساسية لاندماج الآفاق.

تأثير التاريخ

كانت هذه الآيات عبر التاريخ موضوع نقاشات واسعة حول القيامة والمعاد والعدالة الإلهية.

- المفسِّرون والمتكلمون في كل فترة أعادوا تأويل دلالة الآيات بناءً على هُموم وظروف عصرهم.
- تحوّل التساؤل عن الموءودة "بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ" إلى رمز لمكافحة الظلم واللاعدالة وتم الاستدلال به في فترات مختلفة على حقوق الإنسان في الإسلام.

يُظهر هذا التنوع التاريخي للتفاسير أن الدلالة تُعاد إنتاجها ضمن سياق الزمن وتجربة القارئ، مما يُحوّل النص القرآني إلى كيان حيّ وديناميي. من منظور هيرمنيوطيقا غادامير، لا تُمثّل الآيات الافتتاحية لسورة التكوير مجرد تقرير عن وقائع كونية، بل هي حدث هيرمنيوطيقي يكشف للقارئ عن حقيقة القيامة والعدالة الإلهية. تتحدى هذه الآيات الافتراضات المسبقة الأولية وتستدعي القارئ إلى حوار عميق مع النص وفي اندماج الآفاق، يتولّد فهم متجدد وشخصي لزوال العالم وعدالة الخالق.

٥-٥. التحليل الهيرمنيوطيقي لآيات إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ* وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ* وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ* وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ* عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (الانفطار، ٥-١)

تُوفّر الآيات الافتتاحية لسورة الانفطار، بأوصافها المُزلزِلة والمُشابهة لسورة التكوير، سياقًا مناسبًا لبحث مقاربتين مختلفتين في فهم النصوص ويُبرهن تحليل هذه الآيات في تفسيري الميزان و التحرير والتنوير على مسارين هيرمنيوطيقيين مُنفصلين، يقود كل منهما إلى فهم مُتباين لحقيقة واحدة.

رؤية الميزان

ينطلق العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآيات من فهمه المسبق القائم على وحدة السياق والنظام العقلاني للقرآن. فهو يرى أن جميع آيات القرآن تُشكّل كُلًا مُنسجمًا ومُتكاملًا وبهذا الفهم المسبق، يُحلّل العلامة آيات سورة الانفطار في سياق إثبات المعاد ونظام الوجود ويُقيم، عبر اندماج الآفاق الداخلية للنص، رابطًا بين آيات هذه السورة وسورة التكوير ليُظهر أن القرآن يُعبّر عن الحقيقة الواحدة -القيامة- من خلال أوصاف مُتماثلة. في هذه السيرورة، تتجلى الدلالة في حدث فلسفي؛ وقعة لا تُفهم فيه كل آية بمعزل عن غيرها، بل كجزء من كُلٍّ مُتكامل ومُتّسق ويُشير هذا التوجه إلى أولوية العلامة للانسجام العقلاني والدلالي للنص (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص٢٠٣).

رؤية التحرير والتنوير

ينظر ابن عاشور إلى هذه الآيات بمقاربة بلاغية-أدبية. ففهمه المسبق يرتكز على أن كل سورة من القرآن تمتلك وحدة موضوعية مُستقلة ويجب تفسيرها ضمن سياقها الخاص وعبر اندماج الآفاق بين ذاته والأفق اللغوي للنص، يُركّز ابن عاشور على مفردات السورة وبنية جُملها، بدلًا من الإحالة إلى السور الأخرى. فمن وجهة نظره، استُخدِمت أوصاف هذه السورة لغرض التأثير في المخاطب ضمن سياق بياني مُعيّن ومن خلال التحليل اللغوي الدقيق، يُبيّن ابن عاشور أن الهدف الرئيس للآيات هو الاستجابة للتحديات الفكرية والعقائدية للمخاطبين الأوائل واستثارة حس المسؤولية لديهم. في هذا التحليل، تتجلى الدلالة في حدث بلاغي وهو حدث لا يهدف إلى مجرد الإخبار، بل إلى الإقناع وتغيير سلوك المخاطب (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص١٨٠).

التحليل التقابلي

الفهم المسبق

يواجه قارئ الآيات فهمًا مسبقًا لنظام العالم ومفاهيم الموت وما بعده ويُهيئ هذا الفهم الأولي الأرضية لإدراك شدة الوقائع الكونية ونتائجها الأخلاقية.

- المخاطبون الأوائل: كان الناس في زمن النزول يتعاملون مع تصور لعالم ثابت ومتوقع، لكن كان لديهم شكوك حول المعاد والقيامة.

- المخاطب المعاصر: يدخل قارئ اليوم إلى النص بفهم مسبق علمي وفلسفي لنظام الكون وتُصبح مواجهة الآيات فرصة لتلقي رسالتها الأخلاقية والفردية.

اندماج الآفاق

تفتح آيات الانفطار، بتصويرها للتحولات الكونية والطبيعية العظيمة، أفقًا دلاليًا جديدًا وتُدخل القارئ في تجربة وجودية:

- أفق النص: يُشير انشقاق السماء وانتثار الكواكب والتحولات الكونية إلى نوع من الانظام المُوجّه الذي يقود نحو النظام والحقيقة الغائية الأسمى وتُظهر هذه الوقائع، متجاوزةً النظام الظاهري للعالم، حقيقة غائية وشاملة.
- أفق القارئ: يدخل القارئ إلى هذا الأفق المُضطرب بفهمه المسبق عن العالم المستقر، فيُدرك أن الوقائع الكونية ليست خارجية فحسب، بل هي انعكاس للحالة الداخلية وأفعال الإنسان ويُنشئ انتقال النص من الوقائع الخارجية إلى الآية الخامسة فهمًا مفاده أن المسؤولية والمحاسبة الفردية هي محور التجربة الوجودية.

إن هذا اندماج الآفاق ينقل القارئ من مجرد مُشاهَدة العالم إلى اختباره الشخصي والأخلاقي.

تأثير التاريخ

كانت آيات سورة الانفطار عبر التاريخ موضوع نقاشات واسعة حول القيامة والمعاد وحساب أعمال الإنسان.

- المفسِّرون والمتكلمون في كل عصر أعادوا تأويل دلالة الآيات ورسالتها الأخلاقية، بناءً على هُموم وظروف زمانهم.
- استُخدِمت هذه الآيات دائمًا للتذكير بقصر الحياة والمسؤولية الفردية وزوال التعلقات الدنيوية.

يُظهر هذا التنوع التاريخي أن الدلالة تُعاد إنتاجها ضمن سياق الزمن وتجربة القارئ، مما يُحوّل القرآن إلى نص حيّ وديناميي.

من منظور هيرمنيوطيقا غادامير، لا تُمثّل الآيات الافتتاحية لسورة الانفطار مجرد تقرير عن وقائع كونية، بل هي حدث هيرمنيوطيقي يكشف للقارئ عن حقيقة القيامة والمسؤولية الفردية وعبر تحدي الافتراضات المسبقة الأولية، يندمج الأفق الدلالي للنص والقارئ ويتولّد فهم متجدد وشخصي ووجودي لعدم ثبات العالم والمحاسبة على الأعمال. بهذا، يجب النظر إلى القرآن لا كمتن نظري ذي توجه فوق-تاريخي فحسب؛ بل كمنشور سيّال ومُحاوِر ومُوَلِّد، يستحضر في ضوء كل تَلَقٍّ ومواجهة شخصية دلالة بديعة ووجودية.

٥-٦. التحليل الهيرمنيوطيقي لآيات وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (المطففين، ٣-١)

تُوفّر الآيات الافتتاحية لسورة المطففين، بموضوعها الاجتماعي والأخلاقي، سياقًا مناسبًا لبحث مقاربتين مختلفتين في فهم النصوص.

رؤية الميزان

يستفيد العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآيات من فهمه المسبق القائم على الانسجام الفلسفي والأخلاقي للقرآن. فهو يرى أن جميع آيات القرآن تُشكّل نظامًا فكريًا مُنسجمًا وبهذا الافتراض المسبق، يُحلّل العلامة "التطفيف" بوصفه مصداقًا للرذيلة الأخلاقية ونقضًا للعدالة وعبر اندماج الآفاق الداخلية للنص، يعتبر هذا السلوك ليس مجرد ذنب اجتماعي، بل انحرافًا عن الفطرة والحقيقة الإنسانية ويُحلّله ضمن إطار القضايا الأخلاقية الكبرى. في هذه السيرورة، تتجلى الدلالة في حدث فلسفي؛ واقعة لا تُفهم فيه كل آية بمعزل عن غيرها، بل كجزء من كُلٍّ مُتكامل ومُتّسق ويُشير هذا التوجه إلى تأثير تاريخية الفهم في سيرورة التفسير عند العلامة (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص٢١٤) بمعنى أن فهمه يتشكل دائمًا ضمن إطار تقاليده وعقائده القَبلية.

رؤية التحرير والتنوير

ينظر ابن عاشور إلى هذه الآيات بمقاربة اجتماعية ومقاصدية. ففهمه المسبق يرتكز على أن القرآن هو في المقام الأول نص تاريخي وتربوي نزل ضمن سياق اجتماعي مُحدّد وعبر اندماج الآفاق بين ذاته والأفق التاريخي للنص، يُشدد ابن عاشور على ضرورة إصلاح السلوك الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع. فمن وجهة نظره، كان التطفيف معضلة شائعة في زمن النزول وقد ذمّه القرآن بشدة بهدف إصلاحه ومن خلال تحليل السياق الاجتماعي لزمن النزول، يُركّز على الوظيفة الاجتماعية للآية ويرى أن الهدف الأساسي هو الاستجابة للتحديات الفكرية والعقائدية للمخاطبين الأوائل. في هذا التحليل، تتجلى الدلالة في حدث مقاصدي[1] وهو حدث لا يهدف إلى مجرد الإخبار، بل إلى الإقناع وتغيير السلوك (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص٢٠٩).

التحليل التقابلي

الفهم المسبق

يدخل القارئ إلى النص مُحمّلًا بفهم مسبق للقيم الأخلاقية والعدل والإنصاف ويُهيئ هذا الفهم الأرضية لإدراك شدة وأهمية التحذير الوارد في الآيات.

- المخاطبون الأوائل: كان الناس في زمن النزول على دراية بالتطفيف وعدم عدالة بعض المعاملات وكانت لديهم تجربة ملموسة لهذا السلوك.
- المخاطب المعاصر: يفهم القارئ اليوم بإدراكه للأخلاق الاقتصادية وأهمية الشفافية، رسالة الآيات ضمن إطار المسؤولية الفردية والاجتماعية.

[1] Teleological Event

اندماج الآفاق

في هذه الآيات، يتداخل الأفق الدلالي للنص مع الأفق الدلالي للقارئ في سيرورة حوارية:

- أفق النص: يفتح النص، بلهجته التهديدية -وَيْلٌ- ووصفه الدقيق للمطففين، أفقًا أخلاقيًا واجتماعيًا ويُظهر هذا الأفق أن العدالة ليست مفهومًا تجريديًا، بل هي مبدأ عملي وضروري في الحياة اليومية يجب الالتزام به حتى في أصغر المعاملات.
- أفق القارئ: يدخل القارئ إلى هذا الأفق بفهمه المسبق عن العدالة والإنصاف، فيُدرك أن تحذير الآيات ليس مقصورًا على فئة معينة، بل هو دعوة لمراجعة الذات وتقييم السلوك الشخصي ويُنشئ هذا اندماج الآفاق معنىً جديدًا فكل ازدواجية في المعايير تضع الإنسان في مسار "المطففين"، مما يُبرز ضرورة إعادة النظر في الأفعال الفردية والاجتماعية.

تأثير التاريخ

كانت آيات سورة المطففين عبر التاريخ الإسلامي محل نقاشات واسعة حول أخلاقيات كسب العيش والعدالة الاقتصادية والمسؤولية الاجتماعية:

- المفسِّرون والفقهاء استندوا إلى هذه الآيات لصياغة قواعد ومبادئ أخلاقية للمعاملات.
- في العصر المعاصر، تُوِّجه الاهتمام إلى الآيات بوصفها مستندًا للشفافية والإنصاف ومكافحة الفساد على المستويات المختلفة للمجتمع من المعاملات الجزئية إلى السياسات الكلية.

يُظهر هذا التنوع في الاستخدام والتفسير أن الدلالة تُعاد إنتاجها ضمن سياق الزمن وتجربة القارئ، مما يُحوّل القرآن إلى نص حيّ وديناميي.

من منظور هيرمنيوطيقا غادامير، لا تُمثّل الآيات الافتتاحية لسورة المطففين مجرد تحذيرات أخلاقية، بل هي حدث هيرمنيوطيقي يكشف للقارئ عن حقيقة العدالة والإنصاف وعبر تحدي الافتراضات المسبقة الأولية، يندمج الأفق الدلالي للنص والقارئ ويتولّد فهم متجدد وشخصي لأهمية مراعاة العدل في جميع أبعاد الحياة. بهذا المنظور، يجب النظر إلى الكلام الإلهي لا كمنشور تقنيني يتضمن أحكامًا فحسب؛ بل كمتن مُحاوِر وسيَّال يستحضر في كل تَلَقٍّ وتقرّب فردي دلالة بديعة وواهبة للوجود.

٥-٧. التحليل الهيرمنيوطيقي لآيات إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ* وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ* وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ* وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ* وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (الانشقاق، ٥-١)

رؤية الميزان

ينطلق العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآيات من فهمه المسبق القائم على وحدة السياق والنظام العقلاني للقرآن. فهو يرى أن جميع آيات السورة تقع ضمن هدف واحد، هو إثبات حقيقة القيامة والمعاد وعبر اندماج الآفاق الداخلية للنص، يُحلّل العلامة آيات وصف الحوادث الكونية بوصفها مقدمة ضرورية للمبحث الرئيس للسورة -أي أحوال الناس يوم القيامة-. يفسّر العلامة لفظ أَذِنَتْ ضمن إطار فلسفي وعقلاني، بمعنى طاعة السماء لأمر الله يوم القيامة ويعتبرها مصداقًا لامتثال الوجود كله للإرادة

الإلهية. في هذه السيرورة، تتجلى الدلالة في حدث فلسفي لا تُفهم فيه كل آية بمعزل عن غيرها (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص٢٢٠).

رؤية التحرير والتنوير

يَنظر ابن عاشور إلى هذه الآيات بمقاربة بلاغية وأدبية. ففهمه المسبق يرتكز على أن القرآن هو في المقام الأول نص مؤثِّر وبياني وعبر اندماج الآفاق بين ذاته والأفق البلاغي للنص، يعتبر ابن عاشور أوصاف الآيات أداة لإحداث صورة مُروّعة وحية ليوم القيامة ويذهب إلى أن الهدف من هذه الأوصاف هو استثارة حس الخوف والمسؤولية لدى المخاطب وإقناعه بحقيقة المعاد وبدلًا من التحليل الفلسفي للوقائع، يُركّز على الوظيفة البيانية والتأثير العاطفي للغة القرآن. في هذا التحليل، تتجلى الدلالة في حدث بياني[1] وهو حدث لا يهدف إلى مجرد الإخبار، بل إلى الإقناع وتغيير السلوك (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص٢١٩).

التحليل التقابلي

الفهم المسبق

يدخل القارئ إلى النص مُحمّلًا بفهم مسبق لنظام الكون ومفاهيم الموت ولقاء الخالق ويُهيئ هذا الفهم الأولي الأرضية لإدراك شدة الوقائع الكونية وانعكاساتها الأخلاقية والوجودية.

- المخاطبون الأوائل: كان الناس في زمن النزول يتعاملون مع تصور لعالم مستقر ومتوقع ولكن كان لديهم شكوك حول المعاد والقيامة.
- المخاطب المعاصر: يفهم القارئ اليوم، بإدراكه العلمي والفلسفي لنظام الكون، رسالة الآيات بوصفها مزيجًا من التجربة الكونية والأخلاقية.

اندماج الآفاق

تفتح آيات الانشقاق، بتصويرها للتحولات الكونية العظيمة، أفقًا دلاليًا جديدًا وتُدخل القارئ في تجربة وجودية:

- أفق النص: يُشير انشقاق السماء وبَسْطُ الأرض إلى فوضى مُوجّهة تتجه نحو النظام النهائي والغاية القصوى وتكشف هذه التحولات، متجاوزةً النظام الظاهري للعالم، عن حقيقة كلية وغائية.
- أفق القارئ: يدخل القارئ إلى هذا الأفق المُضطرب بفهمه المسبق عن العالم الثابت، فيُدرك أن السماء والأرض، رغم عظمتهما، تذعنان لأمر الخالق ويُنشئ انتقال النص إلى الخطاب المباشر -يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ- فهمًا شخصيًا ووجوديًا يجب أن يدرك الإنسان أيضًا أن حياته هي مسار كَدْح وجهد وحركة نحو لقاء ربه.

يُنتج هذا اندماج الآفاق تجربة وجودية وأخلاقية للقارئ، تزاوج بين الفهم الكوني والفهم الشخصي.

---

[1] Rhetorical Event

تأثير التاريخ

كانت آيات سورة الانشقاق عبر التاريخ محل نقاشات واسعة حول المعاد ومصير الإنسان وفلسفة الخَلق:

- المفسِّرون والمتكلمون في كل فترة أعادوا تأويل دلالة الآيات بناءً على هُموم زمانهم.
- تحوّلت عبارة إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ إلى مفهوم مفتاحي في فلسفة الحياة، مُشيرة إلى أن حياة الإنسان هي جهد وكدح متواصل للوصول إلى الغاية النهائية.

يُظهر هذا التاريخ المؤثّر أن الدلالة تُعاد إنتاجها ضمن سياق الزمن وتجربة القارئ، مما يُحوّل القرآن إلى نص حيّ وديناميي.

من منظور هيرمنيوطيقا غادامير، لا تُمثّل الآيات الافتتاحية لسورة الانشقاق مجرد تقرير عن تحولات كونية، بل هي حدث هيرمنيوطيقي يكشف عن حقيقة مصير الإنسان ومسؤوليته وعبر تحدي الافتراضات المسبقة الأولية، يندمج أفق النص وأفق القارئ ويتولّد فهم متجدد ووجودي لزوال العالم ومسار الإنسان نحو لقاء ربه. بتعبير أدق، لا يجب حصر القرآن الكريم في كونه خطابًا قديمًا ومُتَجَاهِلًا للغايات؛ بل هو أثر حواري ومُتَطَوِّر، يُهيئ، عبر كل مواجهة تأويلية وشخصية، إمكانية استكشاف دلالة باطنية وواهبة للوجود.

٥-٨. التحليل الهيرمنيوطيقي لآيات وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ* وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ* وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (البروج، ٣-١)

رؤية الميزان

يستفيد العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآيات من فهمه المسبق القائم على وحدة السياق والنظام العقلاني للقرآن. فمن منظور هيرمنيوطيقا غادامير، يلعب الفهم المسبق للمفسر دورًا جوهريًا في الكشف عن الدلالة؛ فالعلّامة، بهذا الفهم الفلسفي-الأخلاقي، يُحلّل الآيات ضمن إطار كُلٍّ مُنسجم ومُنظّم وهو يرى أن جميع آيات السورة تقع ضمن هدف واحد، هو إثبات حقيقة القيامة والقدرة الإلهية. عبر اندماج الآفاق الداخلية للنص، يعتبر العلامة أقسام الآيات مقدمة للموضوع الرئيس للسورة -قصة أصحاب الأخدود- ويدرس مصاديقها ضمن الإطار المُتكامل لمبحث المعاد والقدرة الإلهية (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص٢٤٨). بتعبير غادامير، تتحقق الدلالة في سيرورة "حدث الفهم[1]"؛ حادثة تكتسب فيه الآية دلالتها ليس بشكل مُنفرد، بل كجزء من الكُلّ القرآني.

رؤية التحرير والتنوير

ينظر ابن عاشور إلى هذه الآيات بمقاربة بلاغية وأدبية ففهمه المسبق يرتكز على أن القرآن هو في المقام الأول نص مؤثِّر وبياني ومن منظور غادامير، كل فهم هو تفاعل جدلي -ديالكتيكي- بين أفق المفسِّر وأفق النص؛ لذا، يعتبر ابن عاشور، عبر اندماج الآفاق، أن الأقسام هي أداة للتوكيد وتعظيم الموضوع الرئيس للسورة. نظرًا للغموض المُحتمل في مفردة "بُرُوج"، يُشير ابن عاشور إلى الاحتمالات

[1] Event of Understanding

الدلالية المتعددة ويُشدد على المعنى الذي كان مفهومًا ومقبولًا لدى المخاطبين الأوائل (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص٢٦٨).

التحليل التقابلي

الفهم المسبق

يدخل القارئ إلى النص مُحمّلًا بفهم مسبق للكون والنظام السماوي والمفاهيم الجوهرية كالقيامة والحساب ويُهيئ هذا الفهم الأولي الأرضية لإدراك أهمية الأقسام وربطها بحقائق المعاد.

- المخاطبون الأوائل: كان الناس في زمن النزول على دراية بمكانة النجوم والنظام الكوني، لكن بعضهم كان يُنكر يوم المعاد.
- المخاطب المعاصر: يفهم القارئ اليوم، بإدراكه العلمي والفلسفي لنظام الكون، رسالة الآيات في سياق العدالة الإلهية والنظام الكوني.

اندماج الآفاق

تفتح الآيات الافتتاحية لسورة البروج، بقسمها بالسماء واليوم الموعود و الشاهد والمشهود، أفقًا دلاليًا جديدًا وتُدخل القارئ في تجربة معرفية ووجودية:

- أفق النص: تُنشئ الأقسام أفقًا شاملاً يربط بين النظام الكوني والنظام التاريخي والنظام القضائي-الإلهي. تُعدّ هذه الأقسام مقدمة لإثبات حقيقة وعدالة اليوم الموعود.
- أفق القارئ: يُدرك القارئ، بفهمه المسبق للكون، العلاقة بين هذه الأقسام الثلاثة ويحدث اندماج الآفاق في هذه المرحلة ويتشكل معنىً جديد: نظام وشرعية الكون هو بحد ذاته شاهد على حقيقة يوم القيامة ووجود قاضٍ عادل ويُحدث هذا الفهم تحولًا معرفيًا يُحوّل الشك إلى يقين.

تأثير التاريخ

كانت آيات سورة البروج عبر التاريخ محل نقاشات واسعة حول المعاد والعدالة الإلهية والصلة بين العالم المحسوس وعالم الغيب:

- المفسّرون والمتكلمون في كل فترة أعادوا تأويل الأقسام بناءً على هُموم زمانهم؛ فبعضهم رأى في "الشاهد والمشهود" النبي وأمته، أو الأعمال وكتاب الأعمال.
- يُظهر هذا التاريخ المؤثّر أن الدلالة تُعاد إنتاجها ضمن سياق الزمن وتجربة القارئ، مما يُحوّل القرآن إلى نص حيّ وديناميي.

من منظور هيرمنيوطيقا غادامير، لا تُمثّل الآيات الافتتاحية لسورة البروج مجرد أقسام أدبية، بل هي حدث هيرمنيوطيقي يكشف للقارئ عن حقيقة العدالة والمعاد وعبر تحدي الافتراضات المسبقة الأولية، يندمج أفق النص وأفق القارئ، ويتولّد فهم متجدد وشخصي للصلة بين النظام الكوني والعدالة الإلهية. بهذا المنظور، لا يجب حصر هذا النص المُقدّس في كونه متنًا نقليًا مُتَغَاضيًا عن الغايات؛ بل

هو سند حِواريّ وسيَّال يُحقّق، في كل فعل تأويلي وشخصي، إمكانية توليد دلالة مُتجدّدة وواهبة للوجود.

٥-٩. تحليل هرمينوطيقي لآيات هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ* عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ* تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً* تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ* لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ* لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (الغاشية، ٧-١)

رؤية الميزان

يَعتمد العلامة الطباطبائي في تفسيره على الفهم المُسبق القائم على وحدة النسق القرآني والنظام العقلي المُحكَم. من منظور هيرمينيوطيقا غادامير، يلعب الفهم المُسبق للمفسر -المُرتكز على الأصول الفلسفية والأخلاقية للإسلام- دورًا جوهريًا. العلامة الطباطبائي يُحلل الآيات ضمن إطار كلٍّ مُنسجم ومنظَّم، حيث يرى أن جميع آيات السورة تخدم هدفًا واحدًا، هو إثبات حقيقة القيامة والجزاء. يعتبر الطباطبائي الاستفهام في قوله "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ" استفهامًا تشويقيًا، يهدف إلى ترسيخ اليقين في نفس المُخاطَب بما سيأتي من تفصيل للـغاشية، التي هي إحدى أسماء يوم القيامة. يُفسِّر "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ" بأنها كناية عن الذلّة والانقطاع عن حقيقة الإيمان في الدنيا وليس مُجرد تعب العمل الظاهري في الآخرة، مُرسيًا بذلك المعنى في سياق الجزاء الأخروي للعمل الدنيوي (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص٢٥٤-٢٥٥). بالنسبة للطباطبائي، يتحقق اندماج الأفق في ربط هذا المشهد القاسي -النار الحامية، الضريع- بالعَدل الإلهي المطلق. الآيات ليست مُجرد وصف، بل هي مُعادلة عقلية تُؤكد على ضرورة وجود نظام جزاء يتماشى مع الوجود المُتعَب والعمل المُنقَطع في الحياة الدنيا. الدلالة هنا تكمن في وظيفة الآيات في النظام الكلي للتشريع والمعاد.

رؤية التحرير والتنوير

ينظر ابن عاشور إلى هذه الآيات مُركّزًا على التفاعل بين النص والمُتلقي الأولي. يرتكز فهم ابن عاشور المُسبق على أن القرآن هو في المقام الأول نص مُؤثِّر وبيانيّ. لذلك، يُركِّز في تحليله على جوانب الإعجاز والتأثير في لغة العرب. يرى ابن عاشور أن الاستفهام في "هَلْ أَتَاكَ" هو استفهام للتقرير والتشويق معًا، الغرض منه هو الإيقاع الـمُفاجئ للمُتلقي بخطورة الحدث ويُشدِّد على الجانب البياني في الآيات، حيث يُفسِّر "الغاشية" بأنها الصفة الغالبة على الموصوف وكأنها تصف حال القيامة بالشمول والإحاطة. كما يُفصِّل في دلالة "عامِلة ناصِبة"، مُشيرًا إلى أن هذه الصفات تُصيب الكفار يوم القيامة بعد أن كانوا في الدنيا عاملين ومُنصِّبين لكن بغير وجه حق (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص٣٤٤-٣٤٥). يتجلّى اندماج الأفق لديه في كونه يعتبر هذه الأوصاف -الخاشعة، العاملة، الناصبة- أداة لتضخيم هول يوم الجزاء في نفوس المخاطبين الأوائل الذين كانوا يُنكرون المعاد. الدلالة تتحقق في حدث بياني فعال يهدف إلى الإقناع وتغيير سلوك المُخاطَب، مُستخدمًا أقوى الأوصاف المادية المُفزعة -النار الحامية، الضريع- لتحويل الشك إلى يقين سلوكي.

التحليل التقابلي

الفهم المُسبق

يَدخل القارئ والمفسِّرمُحمَّلًا بفهم ديني وفلسفي لحقيقة العدل الإلهي وضرورة الجزاء. هذا الفهم يُهيئ الأرضية لإدراك أن هذه الأوصاف المُفزعة ليست مُجرد إرهاب، بل هي تجسيد للمآل الطبيعي للعمل الذي لا يُغني في الدنيا.

اندماج الآفاق

يحدث اندماج الأفق بين أفق النص -الذي يُنذر بالغاشية ويصف عذاب أهلها- و أفق القارئ -الذي يُدرك العدالة الإلهية-. يتشكَّل معنى جديد مفاده هذا الاستفهام الإنذاري هو وسيلة لإقامة الحُجَّة القاطعة على مَن يُنكر المعاد، عبر وصف دقيق وعاطفي لا يقبل الشك.

تأثير التاريخ

كانت الآيات عبر التاريخ محل نقاش واسع حول الجهد الضائع -عامِلة ناصِبة-. المفسِّرون في كل فترة أعادوا تأويلها بناءً على هُموم زمانهم، فتارة فُسِّرت بالرهبان الذين اجتهدوا في غير الإسلام وتارة بالجهد الدنيوي المُتعِب الذي لم يُبنَ على إيمان وهذا يُظهر أن الدلالة تُعاد إنتاجها ضمن سياق الزمن وتجربة القارئ. إنَّ الآيات الافتتاحية لسورة الغاشية لا تُمثِّل مُجرد وصفٍ مُرعِب، بل هي حدث هيرمينيوطيقي يكشف للقارئ عن حقيقة المعاد عبر تحدي الافتراضات المُسبقة حول مآل العمل وبتعبير غادامير، فإن دلالة النص تُحقَّق في حدث الفهم الذي يتولّد فيه فهم مُتجدد وشخصي للصلة الجوهرية بين الجهد المبذول في الدنيا ومآله في الآخرة.

٥-١٠. تحليل تأويلي لآيات لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ* وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ* وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ* لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (البلد، ٤-١)

توفر الآيات الافتتاحية من سورة البلد، التي تبدأ بالقسم بمكة المكرمة، وتنتقل بعد ذلك للإشارة إلى حقيقة خلق الإنسان في كَبَد -أي: مُجاهدة وعناء-، أرضية خصبة لدراسة منهجين متمايزين في فهم النصوص. إن تحليل هذه الآيات في تفسيري التحرير والتنوير والـميزان يكشف عن مسارين هرمنيوطيقيين منفصلين، يؤدي كل منهما إلى فهم مختلف.

رؤية الميزان

يستفيد العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآيات من فهمه الـمُسبَق القائم على الـتناغم الـفلسفي والوجودي للقرآن. فهو يرى أن جميع آيات الكتاب الـمُقدس تُشكل نظامًا فكريًا مُتكاملًا ويجب فهم كل آية ضمن إطار الـقرآن ككل. بناءً على هذا الافتراض الـمُسبَق، يتناول العلامة الـقسم بمكة والإشارة إلى كَبَد الإنسان ضمن سياق حقيقة وجودية وفلسفية أوسع ومن خلال انصهار الآفاق الداخلية للنص، يرى أن كَبَد الإنسان جزء لا يتجزأ من عملية الـخلق ومسار التطور البشري ويُحللها ضمن إطار الـقضايا الـفلسفية والأخلاقية الـكبرى (طباطبائي، ١٤١٧هـ، ج٢٠، ص٣١١). من منظور غادامير، يُظهر هذا المنهج أهمية الفهم المُسبَق للمُفسِّر والجدلية الـقائمة بين الـنص والمفسِّر؛

فباستخدام فهمه الـمُسبَق الـفلسفي-الأخلاقي، يجمع العلامة آفاق النص مع أفقه هو ليَستعيد الـمعنى ضمن الوحدة المُتكاملة للـقرآن الكريم.

رؤية التحرير والتنوير

ينظر ابن عاشور إلى هذه الآيات بمنهج اجتماعي-مقاصدي. يقوم فهمه الـمُسبَق على مبدأ أن الـقرآن هو، في الـمقام الأول، نص تربوي وتاريخي نزل في سياق ظروف اجتماعية مُحدّدة. من خلال انـصهار الآفاق بينه وبين الأفق التاريخي للـنص، يُحلل ابن عاشور الـقسم بمكة والإشارة إلى كَبَد الإنسان في سياق أحداث فترة الـنزول وخاصة الـمُضايقات التي تعرض لها الـنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والـمؤمنون. يرى أن آية "فِي كَبَدٍ" تعني الـعناء الذي يكابده الإنسان في مسيرته الـحياتية، لاسيما في مواجهة الـصعاب الـدنيوية والـعقائد الـباطلة (ابن عاشور، ١٩٨٤، ج٣٠، ص٣٧٣). من منظور غادامير، يُعد منهج ابن عاشور مثالًا على الفهم التاريخي وتأثير الخلفية الاجتماعية والـثقافية على فهم الـنص؛ حيث يُشكل فهمه الـمُسبَق التاريخي والتربوي أفق النص، ويؤدي انصهار هذه الآفاق إلى تفسير مقاصدي.

التحليل التقابلي

الفهم المُسبَق

يدخل القارئ إلى النص بفهم مُسبَق لأهمية المكان المُقدس لمكة وتجربته الشخصية للعناء والسعي. هذا الفهم المُسبق يُهيئ الأرضية لإدراك الرابط بين الأقسام وحقيقة الوجود التي تُعلنها الآية الرابعة.

- الجُمهور الأولي: كان أهل زمن النزول على دراية بأهمية مكة والصعوبات التي واجهها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
- القارئ المُعاصر: يُدرك القارئ اليوم، من خلال تجربته للسعي والكبد الفردي والاجتماعي، رسالة الآيات ضمن إطار إدراكه الشخصي وفلسفة الحياة.

اندماج الآفاق

تُنشئ آيات سورة البلد الابتدائية، بقسمها "بِهَٰذَا الْبَلَدِ" وبخطابها "أنت" (الـنبي)، أفقًا دلاليًا تاريخيًا ووجوديًا:

- أفق النص :الأقسام مُقدمة لبيان حقيقة وجودية أساسية للإنسان: أن الكَبَد والسعي جزء لا يتجزأ من الحياة البشرية. وبامتداد الأفق إلى "وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ"، تُعمَّم هذه الحقيقة على البشرية جمعاء.
- أفق القارئ: يُدرك القارئ أن كَبَدَه ليس مُجرد تجربة فردية، بل هو حقيقة متأصلة وهادفة في خلق الإنسان. يُولد انصهار هذه الآفاق معنى مُتجددًا: أن الكَبَد والسعي ليسا عقابًا، بل هما سِمة ذاتية ومسار للنمو والكمال الإنساني.

التأثير التاريخي

أدت هذه الآيات عبر تاريخ الإسلام إلى نقاشات واسعة حول فلسفة الكَبَد، والهدف من الخلق، ومعنى الحياة:

- سعى المفسِّرون والمتكلمون لتوضيح حقيقة أن حياة الإنسان هي مسار سعي ونمو نحو الكمال.
- أصبحت الآيات رمزًا لأهمية الصبر والمُثابرة في مواجهة الصعاب، وتحولت عبر العصور إلى سند للُزوم السعي نحو الأهداف السامية.

يُظهر هذا التاريخ التأثيري أن المعنى يُعاد إنتاجه ضمن سياق الزمان وتجربة القارئ، مما يُحوِّل القرآن إلى نص حي وفاعل.

من منظور هرمنيوطيقا غادامير، فإن الآيات الابتدائية لسورة البلد هي حدث هرمنيوطيقي يكشف عن الحقيقة الوجودية للكَبَد والسعي. فمن خلال تحدي الفهم المُسبَق الأولي، ينصهر أفق النص وأفق القارئ، ليُشكلا فهمًا جديدًا وشخصيًا لهَدفية صِعاب الحياة. من هذا المنظور، يجب ألا تُختزل صلاحية هذه النسخة المُقدسة إلى مُجرد رواية تاريخية بحتة تنظر إلى السوابق؛ بل هي نص حِواريّ فاعل يُعيد إنتاج معنى مُستدام، مُبتكر، وواهب للوجود في صميم كل تلقٍ شخصي وتأويل.

استنتاجات

- جدلية الفهم وديناميكية المعنى في تفسير القرآن الكريم

لقد أظهر التحليل المُقارَن لآيات مُختارة من الجزء الثلاثين من القرآن الكريم في تفسيري "الميزان" و "التحرير والتنوير" في ضوء الهرمنيوطيقا الفلسفية لغادامير، أن فهم النص المُقدس ليس عملية ساكنة ومُجرد انعكاس للمعنى الأولي للنص، بل هو حدث حيوي وديناميكي يتشكل في سياق التفاعل الجدلي بين المفسِّر والنص وتُقدِّم المفاهيم الجوهرية لغادامير -وهي: الفهم المُسبَق وانصهار الآفاق وتاريخية الفهم- إطارًا نظريًا لتفسير هذه الديناميكية.

- دور الفُهوم المُسبقة في توجيه عملية التفسير

بيّن البحث أن الفُهوم المُسبقة المعرفية والوجودية للمُفسِّرين تلعب دورًا حاسمًا في تشكيل المعنى. فالعلامة الطباطبائي، بفهمه المُسبق الفلسفي-الوجودي، يرى القرآن ككلٍّ واحد ومُتكامل ويسعى وراء المعنى في ضوء السياق الداخلي للنص، بهدف اكتشاف النظام الفكري المُوحّد وعلى النقيض، يُحلِّل ابن عاشور، بفهمه المُسبق البلاغي-التاريخي، النص في سياق نُزوله ووظيفته الإقناعية والتربوية ويُركز على الجوانب الاجتماعية والأخلاقية. يُؤكد هذا التفاوت على الفرضية الغادامرية بأن الفهم دائمًا "مُحكوم بالأحكام المُسبَقة" ولا يمكن لأي تفسير أن يكون مُستقلًا عن افتراضاته المُسبقة.

- انصهار الآفاق كحدث للمعنى

أوضح التحليل الـمُقارن أن كلا المفسِّرين يخوضان مع النص نوعًا من انصهار الآفاق. فالطباطبائي يتوصل إلى معنى كُلي وفلسفي من خلال انصهار الآفاق الـداخلية لـلنص -أي آيات الـقرآن مع بعضها-، بينما يستنبط ابن عاشور معنى وظيفيًا وتربويًا عبر انصهار الأفق التاريخي للنزول مع الأفق اللغوي والاجتماعي. يُمثِّل هذان النوعان من انصهار الآفاق مسارين هرمنيوطيقيين مُختلفين، يُشيران كلاهما، على الرغم من اختلافهما الجوهري، إلى ديناميكية المعنى وفاعليته وكما يُؤكد غادامير، فـالفهم ليس مُجرد إعادة إنتاج للماضي، بل هو حدث يتحقق في الآن وفي انصهار الآفاق.

- تاريخية الفهم ونسبيّة الآفاق

أثبتت نتائج البحث أن فهم النصوص المُقدسة يقع دائمًا ضمن أفق تاريخية المفسِّرين. فالـطباطبائي، في أفق الفلسفة الإسلامية-الشيعية للقرن الـرابع عشر الهجري، يتجه نحو قراءة وجودية وكُلّانية، بينما يرى ابن عاشور، في أفق الفكر الإصلاحي والاجتماعي للمغرب الإسلامي في أوائل القرن العشرين، معنى النص مُرتبطًا بالقضايا الاجتماعية والتربوية وبالتالي، فإن تاريخية الفهم ليست عيبًا، بل هي شرط إمكانه؛ إذ بدونها لا تتحقق عملية الإدراك والحوار بين المفسِّر والنص.

- الدلالات النظرية والـمنهجية

تُشير هذه الدراسة إلى أن تطبيق الهرمنيوطيقا الغادامیرية في تحليل الـتفاسير الـتقليدية للقرآن يفتح آفاقًا جديدة للبحث في العلوم الـقرآنية. أولًا، تُعامَل الاختلافات التفسيرية ليس كأخطاء أو انحرافات، بل كتجليات طبيعية للجدلية الفهم .ثانيًا، يتضح أن القرآن، بصفته نصًا مُقدسًا، يمتلك قدرة لا نهائية على توليد المعنى؛ وهي قدرة يُمكن تفعيلها في كل أفق تاريخي وفكري جديد. لذلك، فإن الهرمنيوطيقا ليست مُجرد أداة نظرية لفهم الماضي، بل هي جسر لاستمرار الحوار مع النص في الحاضر والمُستقبل.

النتيجة الرئيسية للبحث هي أن فهم القرآن عملية ديناميكية ودائمة الحدوث تتشكل في انصهار الآفاق الـمُتعددة للمُفسِّرين مع النص ويُعد تفسيرا الميزان والتحرير والـتنوير مثالين بارزين لـهذا الحدث التفسيري، حيث يُظهر كلاهما، على الرغم من الاختلافات الجوهرية في الافتراضات والمناهج، أن معنى النص الديني ليس أمرًا ثابتًا وجامدًا، بل هو حدث حيّ يتجلى في الجدلية بين التاريخ والمفسِّر والـنص. هذه الديناميكية الهرمنيوطيقية لا تُعزز فقط من مكانة القرآن كنص هداية لجميع العصور، بل تُؤكد أيضًا على الدور المحوري للمُفسِّر كوسيط فاعل في عملية إنتاج الـمعنى.

الملاحظات الأخلاقية

الالتزام بمبادئ أخلاقيات البحث

تجنب المؤلفون جميع أشكال التزوير والانتحال العلمي وأي نوع من أنواع سوء السلوك البحثي، والتزموا بالمبادئ الأخلاقية في إنجاز هذا البحث العلمي ونشره، وهم يؤكدون ذلك.

مساهمة المؤلفين

ساهم جميع المؤلفين على نحو متساو في بلورة فكرة المقالة وإعداد مسودتها الأولية ونسخها اللاحقة، بما في ذلك النسخة المنقحة والمحررة.

تعارض المصالح

يقر المؤلفون بأن هذه المقالة لا تنطوي على أي تعارض في المصالح.

المصادر والمراجع

- سروش، عبدالكريم. (١٩٩٧م). القبض والبسط النظري للشريعة. طهران: منشورات صراط.
- طباطبائي، السيّد محمدحسين. (١٤١٧هـ). الميزان في تفسير القرآن. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
- كديور، محسن. (٢٠١٦م). الهرمنيوطيقا القرآنية. طهران: منشورات كوثر.
- مجد، علي. (٢٠١٠م). الهرمنيوطيقا القرآنية: دراسة مقارنة بين هرمنيوطيقا غادامير وفهم القرآن. قم: منشورات مركز بحوث الثقافة والفكر الإسلامي.
- مصباح يزدي، محمدتقي. (٢٠١٠م). معرفة القرآن. قم: منشورات مؤسسة الإمام الخميني التعليمية والبحثية.
- معرفت، محمدهادي. (٢٠٠٠م). التمهيد في علوم القرآن. قم: منشورات مؤسسة التمهيد الثقافية.
- ملكيان، مصطفى. (٢٠٠١م). مقدّمة في الهرمنيوطيقا والفهم الديني. طهران: منشورات طرح نو.
- هادوي طهراني، مهدي. (٢٠١٢م). الأسس الكلامية والفقهية لتفسير القرآن. قم: منشورات مركز بحوث الثقافة والفكر الإسلامي.
- يزداني، عباس. (٢٠٠٨م). الأســس والمنهج التفســيري للعلامة الطباطبائي في الميزان. قم: منشورات مركز بحوث الحوزة والجامعة.
- Abushab, A. M. (2007*). Manhaj Muhammad al-Tahir ibn Ashur fi al-Tafsir*. Cairo: Maktabat Dar al-Ulum wa al-Hakam.
- Al-Arousi, Y. (2018). *Al-Tafsir al-Maqasidi: Dirasat fi Tafsir Muhammad al-Tahir ibn Ashur*. Dar al-Nawadir.
- Davey, N. (2006). *Unfinished Worlds: Hermeneutics, Aesthetics and the Imagination*. Edinburgh University Press.
- Dienstag, J. F. (2016). *Hans-Georg Gadamer, Truth and Method. In Oxford Handbook of Classics in Contemporary Political Theory*. Oxford University Press.
- Feldman, N. (2008). *Tafsir, Hermeneutics, and the Qur'an*. Routledge.
- Gadamer, H. G. (2004). *Truth and Method*. J. Weinsheimer & D. G. Marshall, Trans. Continuum.
- Grondin, J. (2003). *Hans-Georg Gadamer: A Biography*. Yale University Press.

- Ibn Ashur, M. T. (1984). *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. Tunisia: Dar al-Tunisiyah lil-Nashr.
- Izutsu, T. (2002). *Ethico-Religious Concepts in the Qur'an*. McGill-Queen's University Press.
- Laverdure, E. (2022). *Interpretation as Translation: A Gadamerian Perspective*. JoLMA – The Journal for the Philosophy of Language, Mind and the Arts, 3(2), 267–284. https://doi.org/10.30687/Jolma/2723-9640/2022/02/007
- McCormack, R. (2014). *Gadamer and ALL: A Hermeneutic Understanding of Academic Language and Learning*. Journal of Academic Language and Learning, 8(3), A49–A61.
- O'Keeffe, B. (2022). *Translation, Gadamer, and the Hermeneutical Perspective*. Yearbook of Translational Hermeneutics, 2, 43–60.
- Palmer, R. E. (1969). *Hermeneutics: Interpretation Theory in Schleiermacher, Dilthey, Heidegger, and Gadamer*. Northwestern University Press.
- Zimmermann, J. (2015). *Hermeneutics: A Very Short Introduction*. Oxford University Press.